الدور الاستشراقى في إنصاف الحضارة العربية

The Orientalism role in the fairness of the Arabic civilization

الباحثة/ ميادة ثروت محمد الصغير

باحثة ماجستير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

ليس للاستشراق مفهوم محدد متفق عليه، بيد أنه مشتق من جهة الشرق، ومن ثم فإن الاستشراق نشأ كظاهرة للاهتمام بالدراسات الإنسانية التي اهتم بها من أطلق عليهم اسم "المستشرقين".

والذي يعنيني هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. ([1])

ومما تجدر الإشارة إليه الاهتمام بظاهرة الاستشراق والتي تتمثل في: الدافع الديني – الدافع الاستعماري – الدافع السياسي – الدافع العلمي – الدافع التجاري.

والدراسات الاستشراقية تحيطها غالباً مشاعر الارتياب والتشكيك في النوايا والأهداف لما أفرزه العقل الغربي بمدارسه المتعددة ومراحله المتوالية من هجوم على الإسلام وحضارة المسلمين، مما جعل كثيرا من الدارسين والباحثين يصدرون في تناولهم لظاهرة الاستشراق عن هذه الرؤية الأحادية التي جعلت [معظم المهتمين بالدراسات الاستشراقية إنما يعتنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله، فالمستشرقون إما من رجال الدين، أو من رجال الاستعمار والملحدين الذين يهتمون بزعزعة الاستقرار وإثارة القلاقل لتكون السيطرة والهيمنة لهم].([2])

ورغم ذلك فقد آن الأوان للابتعاد عن تلك التعميمات الخاطئة ونتحول إلى موقف نقدي يقوم على أسس علمية، وهذا هو الذي وجهنا القرآن الكريم إليه في قوله تعالى "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى".([3])

والاستشراق في حقيقة الأمر يشتمل على عناصر سلبية وأخرى إيجابية وعلينا أن نعترف للمستشرقين بما لهم من إيجابيات إلى جوار التنبيه إلى ما وقعوا فيه من أخطاء.

فالعناصر الإيجابية تتمثل في العناية بالمخطوطات العربية وتحقيق العديد من أمهات الكتب العربية في شتى مجالات الفكر الإسلامي، والقيام بالعديد من الدراسات اللغوية المفيدة، والموسوعات والمعاجم النافعة، وغير ذلك من دراسات في مجالات العلوم والفنون الإسلامية.

ويأتى هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الجوانب وللمطالبة بضرورة إقامة الجسور بين علماء المسلمين والمعتدلين من المستشرقين بهدف مواجهة المد الإلحادي المتنامي ومحاربة الفكر الإرهابي الذي لا دين له، والإلحاد والإرهاب وجهان بشعان لكل ما من شأنه تهديد الإنسانية في وجودها وأمنها وسلامتها.

([1])محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة ، كتاب الأمة ، العدد (5) 1983م ، صـ 18.

([2])عدنان محمد وزان : الاستشراق والمستشرقون ، مكة المكرمة إدارة الصحافة والنشر1984م ، ص20 .

(3) سورة المائدة / الآية 8.

DOI: 10.12816/0045751

وقد تم إنجاز البحث حسب المحاور الآتية :

1- المحور الأول: الاستشراق (التعريف – النشأة – الأهداف).

2- المحور الثانى: الدور الإيجابي للاستشراق في التراث الإسلامي.

3- المحور الثالث: دور المستشرقين في نشر اللغة العربية.

Abstract:

the orientalism have no understandable definition that agreed upon, however derivative with regard to the east, then the orientalism originated as phenomenon for the interest in the humanitarian studies and its Languages which be interested in her from released on them name "the orientalists", and who means the special meaning for the concept orientalism who the western related studies in the Islamic east literatures - history - beliefs - legislations and its civilization in general, here should be noted to the orientalism phenomenon which cames to light in :

The religious propellant – the colonial propellant – the political propellant – the scientific propellant and the commercial propellant

At the orientalism surrounds dominant feelings of the mistrust and the suspicion in the intentions and aims, for what excretes from the western brain in his numerous schools and his successive stages from attack on the Islam and Islamic civilization, of which making a lot of the studier and the researchers taking export in the orientalism phenomenon at this mono view which made most of interested in the oriental studies rather distortion of the Islam orientalists either religious leaders, or colonization and atheists they care about the un stability and excitement of the disturbances to be interested in the control and the supremacy,

Despite that losing time of the time for the moving away about that wrong generalizations and monetary position convert to scientific bases straighten on, this he who the generous Quran directed to him in his statement rose (O ye who believe! stand out firmly for Allah, as witnesses to fair dealing, and let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just: that is next to piety: and fear Allah. For Allah is well-acquainted with all that ye do) . the table 8, and the orientalism as a matter of fact negative and other positive elements include on and Ali us that the two orientalists acknowledge for in what to loves from positive to neighborhood the warning to what fell in him errors, so the positive elements imitate in the care in the Arabic manuscript and investigation several mothers of the Arabic books in various domains of the Islamic thought, and the rising in many the linguistic useful studies, and the encyclopedias and the useful dictionaries, and other than that studies in the fields of the sciences and the Islamic arts.

mastery

This paper fo the light on this sides and for the request of necessarity of more contact between Muslims scientists and the orientalists conservative with the aim of confrontation of the atheistic developing extension and fightering of the terroristic thought who has no religion , the atheism and the terrorist have two ugly faces what from his matter threat humanity in its presence - security and peace

المحور الأول/ الاستشراق (التعريف – النشأة – الأهداف):

أولاً مفهوم الاستشراق:

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة (مستشرق) بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وحضارته وأديانه، وعلى ذلك فالاستشراق يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام.([4])

أما عن الاشتقاق اللغوي فالواضح أن كلمة "الاستشراق" مشتقة من مادة "شرق" يقال: " أشرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت"([5])، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن اشتقاقها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة([6])، غير أن هذا لايمنع الباحث من محاولة الوصول إلى معناها الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق، حيث يبدو معنى (استشراق) أن من مارسه أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم.

– المفهوم العلمي للاستشراق:

وأما إذا أريد تحديد المفهوم العلمي للكلمة، فيجب أولاً النظر إلى أحد المعاجم الحديثة ثم إلى رأى علماء الغرب وعلماء العرب، لكي يكون في الإمكان بعد ذلك القيام بمحاولة وضع تعريف محدد لهذا الاصطلاح.

وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة: "استشراق: طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة(7)، و "المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.(8)

– المفهوم الاصطلاحي للاستشراق:

الاستشراق: هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وأديانه وروحانياته، وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري كله.(9)

الاستشراق: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.(10)

الاستشراق: هو دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه.(11)

---

(4) رودى بارت: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفي ماهر، مكتبة الأنجلو المصرية 1967م، ص11.

(5) المعجم الوسيط ج1، ص482 معجم اللغة العربية بالقاهرة 1960.

(6) ابن منظور، لسان العرب م 10، ص179/173.

(7) الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة ج3، ص311.

(8) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر 1998م، ص22/21.

(9) يحيى مراد: ردود على شبهات المستشرقين ، طبعة كتب عربية بدون تاريخ ، ص30.

(10) مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2، ط5، 2003م، ص687.

(11) عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام عرض ونقد، الرياض/ المملكة العربية السعودية، 2001م، ط1، ص18.

الاستشراق: هواتجاه فكري يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله، بلغاته وتقاليده وآدابه، فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق وأديانه وآدابه ومعرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب تفو قهم.(12)

ثانياً نشأة الاستشراق:

اختلف الباحثون في تحديد بداية الاستشراق ونشأته فيذكر البعض أنه بدأ في القرن العاشر الميلادي([13])، بينما يرى البعض الأخر أن الاستشراق بدأ في أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين 1097 – 1295م([14])، وهناك من يقول إن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي([15])، وهناك من يربط بين ظهور الاستشراق وبداية الأطماع الأوروبية الاستعمارية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي حين ضعفت قبضة الدولة العثمانية التي كانت تضرب سياجاً من العزلة منع الأوربيين من الاتصال بالشرق فترة ثم ما لبثت أوروبا أن تدخلت في شئون الشرق فكان ذلك بداية الاستشراق.([16])

وهناك من يعتبر الحملة الفرنسية على مصر وغيرها من بلاد الشرق في سنة 1798م هى البداية الحقيقية للاستشراق، لأن هذه الحملة جاءت ومعها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بعمل دراسات مختلفة نشرت في الكتاب المعروف باسم "كتاب وصف مصر".([17])

وهناك بعض الباحثين يشيروا إلى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود (الاستشراق) بصدور قرار مجمع (فيينا) الكنسي في عام 1312م، والذي تمخض عن قرار بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.([18])

والبعض يؤكد أن هناك استشراقاً قبل هذا التاريخ، فذهب البعض إلى أن بدايات الاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي وقد تمت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية – لأول مرة – في القرن الثاني عشر، وهناك رأي آخر يقول إنه يرجع إلى القرن العاشر الميلادي.

وفي القرن السابع عشر كانت حركة الاستشراق أنشط، حيث ظهر في هذا الوقت "ادوريوك" الإنجليزي في جامعة أكسفورد، و"كالا " الفرنسي ترجم لأول مرة ألف ليلة وليلة، وبرز"أوربانيوس" الهولندي الذي أنشأ أول مطبعة "لايدن" التي قامت بطبع العشرات من أمهات الكتب العربية، وطبع فيها مؤسسها أول كتاب في قواعد اللغة العربية.([19])

أما مفهوم (مستشرق) فلم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر، إذ ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م وفي فرنسا عام 1799م.([20])

---

(12) علي إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والخلفية الفكرية، الاستشراق والدراسات الإسلامية – مصادر الاستشراق والمستشرقين، الرياض، 1998م، ط1، ص28.

(13) أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ط3، القاهرة، 1975م، ص10.

(14) عبد الجليل شلبي: صور استشراقية، نشر مجمع البحوث الإسلامية 1978م، ص25.

(15) على محمد جريشة: أساليب الغزو الفكري، نشر دار الاعتصام بالقاهرة، ص18.

(16) على حسن الخربوطي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص31.

(17) شوقي إبراهيم علي عبد الله: في الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام 1988م ، ص120 .

(18) إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)، ترجمة كمال أوديب، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية 1981م، ص9.

(19) جمال الدين الألوسي: المستشرقون والتراث...المستشرقون والإسلام، منشورات مجلة الرسالة الإسلامية – وزارة الأوقاف – العراق – مطبعة الأوقاف – بغداد

(20) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، القاهرة: دار المعارف 1981م، ط4، ص27.

ثالثاُ أهم آراء بعض علماء الغرب حول نشأة الاستشراق:

أما علماء الاستشراق فيذهبون في ذلك مذاهب أخرى "فرودى بارت " مثلا يؤكد أن الاستشراق كما هو اليوم ليس سوى نتيجة لدراسة أجيال عديدة فلو طلبت الإجابة على السؤال التالي بالتحديد: متى بدأت حركة الاستشراق؟ فإن الباحث سيواجه المشاكل بدون شك، ومع ذلك فعليه أن يوجه نظره إلى التاريخ نفسه وتطور الاستشراق ذاته، وبناء على هذا الأساس يستطيع أن يقول إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر إذ تمت فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام 1143م بتوجيه الأب فيزابل وفي هذا القرن أيضاً ألف أول قاموس لاتيني عربي ولذلك كله كانت بداية الاستشراق في القرن الثاني عشر.([21])

ويذهب الأب "لامنس"([22]) إلى أن الأحبار الرومانيين قرروا دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر، غير أن هذا القرار لم ينفذ إلا فترة قصيرة من الزمان وفي عام 1519 دعا ملك فرنسا فرنسيس الأول الأستاذ "بوليس يوستينيا" لتدريس العربية والعبرية في عاصمة مملكته ولكنه لم يبق في وظيفته إلا عامين ثم عاد إلى موطنه ولم يخلفه أحد في مكانه ويؤكد "لامنس" أن بقية الدول الأوروبية كانت تجهل علم العربية في بداية القرن السادس عشر حتى في الأندلس نفسها ويبرر حكمه فيما يتعلق بأسبانيا قائلاً "لم يبق فيها سوى آثار قليلة من لغة كان قد علا منارها في عهد الخلافة الأموية نحو من سبعمائة سنة" ويمضى "لامنس" مؤكداً أن أوروبا في القرن السادس عشر قد واجهت صعوبات بالغة في دراسة اللغة العربية والحق يقال إن درس العربية لم يكن بين أهل أوروبا من الأمور السهلة في القرن السادس عشر وكان من يحاول ذلك أشبه بمن يتصدى اليوم لدرس لغة مجهولة لايعرف أحد هجاءها، ولا نتردد أن نشبه بشامبليون إذ توخى حل الرموز الهيروغليفية بعد أن عثر على حجر "رشيد المخطوط باللغتين المصرية واليونانية".

ويرى "برنارد لويس" أن العلماء أخطأوا حينما ظلوا يعتقدون حقبة طويلة من الزمن أن أول اتصال جدي بين الثقافة الإسلامية وثقافة أوروبا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية ثم يؤكد أن حركة الفكر والعلوم العربية وصلت إلى الغرب عامة، وبريطانيا خاصة عن طريق آخر غير طريق الحروب ويستند في رأيه هذا على التاريخ ووقائعه، فيذهب إلى أن أوروبا شربت من مناهل العلوم العربية التيي كانت تتدفق في الأندلس إذ أسس العرب في أسبانيا وصقلية مدنية زاهرة أرقى بكثير من أية مدنية معاصرة لها في ذلك الوقت في البلاد المسيحية وهى المدنية التي خلفت آثاراً في المدنيات المسيحية المعاصرة لها.([23])

ويتجه " يوسف جيرا " إلى أن فلسفة العرب ومعرفتهم بفلسفة أرسطو قد أجبرت الرهبان إلى تعلم العربية في زمن مبكر حيث اضطروا إلى مناقشة الآراء الفلسفية، كما رغبوا في إحراز ألقاب (المستشرقين) مما يدل على أنه لم يكن يسمى مستشرقاً إلا الذي كان على معرفة تامة باللغة العربية و" انتشرت آراء أرسطو في أوروبا بواسطة اختلاط الإفرنج بالعرب في الأندلس وصقلية، وكان هذا أول العهد بدعوى اقتباس أساليب التعليم على الطريقة الفلسفية لوضوحها وسهولة إدراك أسرارها، ولما كانت العلوم العربية المترجمة عن كتب أرسطو وغيره كافية للتعبير عن المفاهيم المختلفة وحل المعضلات اهتم الأوربيون بفلسفة أرسطو سعياً وراء الحقائق وبذلك حلّوا الألغاز ومعميات كتبهم التي رسخت في عقول المتدينين والمتعصبين وهذا هو السر في اضطرار الرهبان إلى دراسة اللغة العربية كي يستطيعوا القيام بأداء المهمة الملقاة على عواتقهم وكي يحوزوا ألقاب مستشرقين".([24])

---

(21) رودي بارت: مرجع سبق ذكره، ص9.

(22) هنري لامنس، درس العربية في أوروبا، المشرق 15 نوفمبر 1901 م، للإستزادة أنظر: أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص57.

(23)أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص57.

(24) يوسف جيزا (المستشرق النمساوى):تاريخ دراسة اللغة العربية في أوروبا ، دار الكتب المصرية 1929م ، ص5.

رابعاً أهداف المستشرقين:

كان وراء اتجاه الأوربيين لدراسة الشرق، وإقامة مؤسسة ضخمة هى مؤسسة الاستشراق، أهداف معينة فالهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا، وقد صاحب الاستشراق ذلك الهدف طوال مراحل تاريخه ولم يستطع أن يتخلص منه نهائياً، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إسار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة.([25])

وتنحصر أهداف المستشرقين في ثلاثة اتجاهات متوازية:

1- أهداف علمية:

وقد كانت مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية الأخرى ومؤيد لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ولكن هؤلاء كانوا قلة.

2- أهداف تجارية:

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار، ومن أجل هذا كانت حاجتهم للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم.

3- أهداف سياسية:

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامة والعادات السائدة كما فعلوا بالدين والشريعة.([26])

هناك فئات للمستشرقين، وهى مختلفة تتراوح ما بين التعصب والإنصاف، وما يعنينا هنا هو المنصفون من المستشرقين فهناك فريق من المستشرقين التزم في دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناقهم الإسلام.

وهناك فريق من المستشرقين انكب على دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك ولهؤلاء بحوث قيمة ومفيدة.([27])

فالمنصفون من المستشرقين قد أسدوا إلى لغتنا وتاريخنا وتراثنا خدمة جليلة وذلك بإحياء التراث العربي والاسلامي، وأحيوا الكثير من مخطوطات أسلافنا في التاريخ والجغرافيا والرحلات البرية والبحرية، وفي الأدب والاجتماع والفلسفة.

---

(25) إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)، مرجع سبق ذكره، ص265.
(26) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سبق ذكره، ص73-75.
(27) المرجع السابق، ص75-76.

المحور الثاني/ الدور الإيجابي للاستشراق في التراث الاسلامي:

1- عناية الاستشراق بالإسلام: ركزت على دراسة خصائصه العامة، ظهوره، وانتشاره، وأصالته، وفعاليته، ونظامه، وسياسته، وفلسفته، ودوره، وأثره وأساسه الفلسفي، ونظامه الأخلاقي، ومفهومه الكوني، وتطبيقه الواقعي، ومنزلة الإنسان فيه، وغيرها من المسائل التي تتعلق به.

2- عنايته بالقرآن: قد اهتم بدراسته من جميع نواحيه، فبحث في ترتيبه، ووحيه، وجمعه، ونزوله، وأصالته، وتفسيره، وترجمته، وأسلوبه، ولغته، وأثره في اللغة والأدب، والفلسفة والفكر، واعتباره مصدراً رئيسياً للشريعة ومعاملاتها مقارنة بالكتب السماوية الأخرى، وغيرها من الموضوعات التي تعالج قضاياه فكلما نصادف كتاباً أو مقالاً من التراث الاستشراقي نراه يعالج أمراً من القرآن وموضوعاته.

3- عنايته بالحديث النبوي: قد ركز جهوده على دراسة تاريخه، وجمعه، وتدوينه، وأهميته، وروايته، ورواته، وأصالته، ومنزلته، وأنواعه، ومصادره، وأسلوبه واعتباره مصدراً للشريعة ومعاملاتها، واهتمام علماء الإسلام به، ومناهجهم في توثيقه وتحقيقه، ومذاهبهم في نقدهم الداخلي والخارجي له وإثباتهم الحقائق التاريخيه حوله وغيرها من المسائل التي تتعلق به.

4- عنايته بالرسول صلى الله عليه وسلم: قد اهتم بكل ما يتصل بشخصيته وحياته، ونبوته، وسياسته، وإنسانيته، وتشريعاته، وعلاقاته العامة، والخاصة، وأخلاقه ومعاركه، وأحاديثه وخطبه ورسائله، ودعوته وجهاده، وفتوحاته وأصحابه، وزوجاته، وغيرها من الأمور التي يمكن أن تدور حوله ثم مكانته التاريخية والإنسانية.

5- عنايته بالعرب وتاريخهم: قد اهتم بدراسة بلاد العرب وقبائلهم وظهور الإسلام ودوره التاريخي والتشريعي، ودور العرب في الحضارة والدعوة إلى الإسلام وانطلاق المسلمين وعظمتهم وحضارتهم وتأثرهم وتأثيرهم وسياستهم ونظمهم، وفضلهم، ومناهجهم، ونهضتهم وغيرها من الموضوعات التي تتصل بهم وتاريخهم مباشرة وغير مباشرة.

6- عنايته بالحضارة العربية الإسلامية: قد اهتم بدراسة نشأتها وتطورها وازدهارها ومعابرها إلى أوروبا وتأثيرها وفضلها على الغرب في ميادين العلم، والفلسفة، والأدب، والبحث العلمي، والرياضيات، والفلك والرحلات والتجارة، والطب، والصيدلة، والفنون، والموسيقى، والتعليم، والجامعات، والأخلاق، والصناعات وغير ذلك من الألوان الحضارية التيي أنشأها الإسلام ورجاله.

7- عنايته باللغة العربية: قد حرص على دراسة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد فبحث في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، ونحوها، وصرفها، وأصولها، ومعاجمها، وأطوارها، وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات السامية، ومميزاتها، وعناصرها، وتاريخها، وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدو كأنه قد صب اهتمامه كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالإسلام والقرآن والحديث والشريعة على حد سواء.([28])

دور الاستشراق الإيجابي في النظرة إلى القرآن الكريم:

النظرة المشهورة عن المستشرقين للقرآن الكريم وهى الأكثر انتشاراً وشيوعاً هى التي تتسم بالسلبية ومن النماذج الممثلة لهذا الاتجاه جب الذي ادعى أن القرآن الكريم كان أثراً من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم بالظلم الاجتماعي الذي ساد أهل مكة وأن أثر هذا الإحساس وهو القرآن الكريم بدأ واضحاً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كفاحه إلى أن مات.([29])

(28) أحمد سمايلوفتش: مرجع سبق ذكره، ص172 إلى ص184 بتصرف .

(29)علي عبد الحليم: من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه جامعة بن سعود 1396هـ، ص29/ 30.

ويردد ويلز نفس التهم التي تستهدف تشويه القرآن الكريم فظل يردد أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي صنع القرآن الكريم على حد تعبيره.

فهذه النماذج دالة على أن الاستشراق وقف من القرآن موقف الإنكار والخصومة فعندما نراجع ما كتبه المستشرقون – غالباً – نجد الإصرار على الوقوف في وجه القرآن الكريم وإنكار مصدره الرباني والقول بأنه من عمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

بيد أننا عثرنا على وجهة نظر مغايرة لهذه النظرة الظالمة للقرآن الكريم اتسمت بالإنصاف والنزاهة فجاءت على العكس من هذه الشبهات المفتراة، فقد عارض المستشرق السويدي "توراندريه" صاحب كتاب (محمد: حياته وعقيدته) الطريقة التي سلكها بعض المستشرقين مبيناً أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية ومهمة الباحث في رأيه أن يدرك في نظرة موضوعية: كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصيلة تنبض بالحياة فالإسلام لا ينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقيدة الحنيفية وتقاليد العرب ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر.

وفي القرآن من الإعجاز الغيبي والعلمي ما ينفي أن يكون بشرياً كما شهد بذلك كل الذين درسوا إشاراته إلى الحقائق العلمية والكونية دراسة موضوعية من المسلمين وغير المسلمين.

فهذا الدكتور "بوريس بوكاى" الطبيب الفرنسي الباحث يقول في دراسة علمية كتبها بعنوان: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم): لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن والتي كانت مطابقة تماماً للمعارف الحديثة ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة بيد أني لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شبابي حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل وبالتالي فهو ليس بدين سماوي فلا قيمة له عند الله وكان يمكن أن أظل محتفظاً كالكثير بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهى شديدة الانتشار.

ولما تحدثت مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين عرفت أني كنت جاهلاً قبل أن تعطى لى عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التي تلقيتها في الغرب وكان هدفي الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها والتي لم يمكن لأي إنسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يُكوّن عنها أدنى فكرة ثم قرأت بعد ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كُتّاب مسلمون للجوانب العلمية في القرآن وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية فادحة فإنا لا نجد في القرآن أي خطأ وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل: لو كان مؤلف القرآن إنساناً فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك مجال للشك: فنص القرآن الذي نملك اليوم هو النص الأول نفسه ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟

حقاً إن في إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة "ففي القضايا التي تخضع للملاحظة مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية مع العلم".([30])

وبالإضافة إلى بوكاي وغيره من المستشرقين المنصفين نجد عدداً آخر اتسم بالحيدة والإنصاف مثل: لوبلوا، وموير، ورودى بارت.([31])

---

(30) شوقي إبراهيم عبد الله: مرجع سبق ذكره، ص237 وما بعدها بتصرف.

– الجانب الإيجابي للاستشراق في مجال السنة المطهرة:

الفكرة التي انشغلت بها هذه الورقة منذ سطورها الأولى كانت عن الدور الإيجابي للاستشراق وفي هذه المساحة منها نلمح كتابات منصفة وحيادية من المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة، حيث تخلى بعضهم عن النظرة العدائية الأحادية غير المبررة.

وكتبوا من منطلق محايد غير متأثر بالمناخ السلبي السائد المشهور في دوائر الاستشراق، ومن هذه النماذج الكاتبة البريطانية "كارين آرمسترونج" التي قضت فترة من حياتها راهبة وهذا يعطي لوجهة نظرها كثيراً من التقدير، لأنها كونت فكرتها عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بعد حصولها على خلفية دينية عميقة فأصدرت كتابها الذي عنونت له بـ "محمد" صلى الله عليه وسلم وقد ترجم إلى اللغة العربية حيث يقول مترجماه في التقديم للطبعة العربية (كتاب سيرة النبي محمد هو دراسة قامت بها الكاتبة ونشرتها إبان موجة الكراهية والعداء للمسلمين والإسلام التي انفجرت في الغرب بعد نشر "آيات شيطانية".

أما حافزنا على ترجمة هذا الكتاب فليس هو الزهو بذلك الصوت الغربي المسيحي الذي حاول إنصاف محمد وقدم شهادة موضوعية عنه وعن الإسلام فمحمد والإسلام عقيدة ورؤية لن يضارا أو ينصفا بعداوة أو صداقة أحد .

بيد أن رؤية الكاتبة تبرهن على أن الكاتب لكي يقنع فعليه أولاً أن يقتنع، ولن يتم له ذلك إلا إذا خلص نفسه من المسلمات والتحيزات والأفكار المسبقة وجرّد نفسه من رواسب التنشئة وعوائق اللاوعي الفردي والجماعي، والقارئ الغربي في غالبيته مسيحيّ الحضارة والموروثات عقلاني التوجه).([32])

اللافت للنظر في كتاب السيدة "كارين آرمسترونج" أنه لم يكتف بالإنصاف فحسب بل قام برفض وجهة النظر الغربية المغرقة في العدائية الموغلة في التعصب ضد الإسلام وضد القرآن الكريم وضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد قامت السيدة كارين برفض وجهة النظر المعادية الصادرة عن الساسة ورجال الدين والكتاب والباحثين في سياق واحد، ثم أعقبت ذلك بما تراه عن اقتناع لشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نقتبس هذه السطور عن مسيرة الإسلام منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تقول: " حينما بدأ محمد دعوته إلى كلمة الله في مكة كانت تسود بلاد العرب حالة من التفكك المزمن، فقد كان لكل قبيلة من قبائل البدو العديدة قانون قائم بذاته، وكانت أيضاً كل قبيلة في حالة من الحرب الدائمة مع التجمعات القبلية الأخرى، وكان يبدو مستحيلاً للعرب أن يتجمعوا، مما عنى عدم إمكانهم إقامة مدنية أو نظام للحكم يمكنهم من احتلال مركز لهم في العالم، أما الحجاز فقد بدا وكأن من المقدر له أن يبقى في حالة بربرية متوحشة خارج نطاق الحضارة، ثم بعد ذلك بثلاثة وعشرين عاماً أي عند وفاة محمد في 8 يونيو عام 632م، كان محمد قد تمكن من لمّ شمل القبائل جميعها وجعلها تلحق بمجتمعه المسلم، ورغم أنه من الصحة القول إن الأمر لم يكن مستقراً تماماً، إذ كان محمد يعلم أن بدواً كثيرين كانوا متمسكين بالوثنية، لكن وعلى العكس من كل الاحتمالات، استمرت وحدة العرب التي أنجزها محمد، وكان محمد يتمتع بموهبة سياسية رفيعة القدر إذ تمكن من تغيير أحوال أمته تغييراً شاملاً، وأنقذهم من العنف غير المجدي، ومن التحلل، ومنحهم هوية جديدة يزهون بها، وبهذا أصبحوا على استعداد لتأسيس حضارتهم المتفردة، ولقد أطْلقت تعاليم محمد مخزون قوة العرب لدرجة أنهم، ومن خلال مائة عام، امتدت إمبراطوريتهم من جبل طارق إلى الهيمالايا.([33])

---

(31)محمود حمدي زقزوق: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، القاهرة 2004م ،ط4،العدد:108،ص23.

(32)كارين آرمسترونج: محمد، مقدمة المترجمين، ترجمة د.فاطمة نصر، د.محمد عنانى، ط2، ص65، بتصرف.

(33) المرجع السابق، ص72 / 73.

ثم تتحدث عن إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم فتقول: "وتماثل شخصية محمد أكثر شخصيات التوراة اليهودية النابضة بالحياة من أمثال موسى وداود وسليمان وإلياس وإسحاق الذين لم يكونوا قديسين بل كانوا مفعمين بالحيوية، إن تجسيد الحقيقة العليا، أي الإله، والتي هى أقدس من أن توصف بكلمات، من خلال أطر الحياة الإنسانية المأساوية المغلوطة، لنوع من الصراع الأليم، فمحمد لم يكن قديساً مقولباً، فقد عاش في مجتمع عنيف خطر، ولذا كان عليه أحياناً أن يتبنى أساليب، يجدها من يحظى منا بالعيش في عالم أكثر أمناً، مقلقة، لكن إذا نحن تركنا توقعاتنا المسيحية للقداسة جانباً، فسنجد محمداً شخصية قوية المشاعر وذات أبعاد مركبة، وكان لدى محمد مواهب روحانية وسياسية عظيمة – رغم عدم توافق الجانبين في أغلب الأحوال –، كما أنه كان مقتنعاً أن على كل الأفراد المتدينين مسئولية إقامة مجتمع خير عادل، وبينما كان يمتلك محمد أحياناً الغضب القاتم، فإنه كان أيضاً رءوفاً شديد التأثر وعلى قدر هائل من التعاطف، لم نقرأ أبداً أن المسيح قد ضحك، لكننا كثيراً ما نجد محمداً يبتسم ويداعب المقربين منه، نراه أيضاً يلاعب الأطفال، ويختلف مع زوجاته، ويبكى بحرقة لوفاة أحد أصحابه، ويعرض ابنه الوليد مزهواً كأى أب ولع، فنحن إن استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننا سنراه أحد أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ".([34])

بل تبدو السيدة كارين أحياناً أصوب نظراً وأصدق لهجة وأكثر فهماً ليس من المستشرقين فحسب بل من بعض الباحثين المسلمين الذين ينظرون من زاوية ضيقة تتسم بالانغلاق والتحكم، ولهذا نجدها في تحليلها العميق لأمية الرسول صلى الله عليه وسلم تدلي بوجهة نظر جديرة بالاحترام وفي ذلك تقول: " من الحماقة أن نتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ "أمى"، كما أنه لا يوجد في المصادر الأولى أى ذكر عن قدرة محمد على الكتابة والقراءة، وحينما كان يحتاج لإرسال خطاب يمليه على أشخاص مثل علىّ الذى كان ملماً بالقراءة والكتابة، ولو كان صحيحاً أن محمداً قد أخفي مقدرته على الكتابة والقراءة طيلة حياته لكانت تلك خُدعة كبرى، وخلافاً لكون ذلك منافياً لطبيعته، فإنه من الصعب جداً الإبقاء على مثل تلك الخدعة إذا نحن أخذنا في الاعتبار حميمية الصلة بين محمد وقومه، إن التأويل الشائع للفظ أمى هو تأويل مبكر جداً، وهو أيضاً من الأهمية بمكان لدى المسلمين، فإن له نفس أهمية الميلاد العذري في المسيحية، والتي تؤكد على النقاء اللازم للرجل أو المرأة كى يأتى بكلمة إلى الناس، لأن التنزيل لا يجب أن يشوبه أو تتدخل فيه إضافة إنسانية خالصة".([35])

والكتاب كله يرصد مواقف عطرة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تتميز بنظرة إيجابية منصفة لكننا اكتفينا بهذا القدر لضيق المجال.

وقد سارت "كارين آرمسترونج" على خطى "رودي بارت" في كتابه الصادر في عام 1957م تحت عنوان "محمد والقرآن – تاريخ النبي العربي ودعوته" باللغة الألمانية، فقد قام هذا المستشرق بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بكثير من الإنصاف من خلال وجهة نظره التي يمتدحه فيها ويثني على تدينه العميق، فيقول عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد كان محمد في حقيقة أمره إنساناً متديناً، وفي تدينه يكمن مفتاح تفهم شخصيته، كما يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي حقيقي وذلك حين يقول: "لم يكن محمد برسالته واضعاً أمام عينيه أهدافاً أنانية قبلية عائلية، وقد جعل محمد من نفسه داعية إلى معرفة الله معرفة توحيدية صافية ودعا إلى أخلاق دينية حقيقية.

وكان لابد بالضرورة أن يتجاوز إطار معرفة الكهانة المعتادة، وهكذا كان أبعد كثيراً من أن يكون كواحد من أرباب الفراسة أو العرّافين أو السحرة، وكثيراً ما يؤكد المؤلف أن محمداً قد ظل وفياً لهدفه الديني الخالص فلم يغب عن ذهنه هذا

---

(34)المرجع السابق، ص135.

(35) المرجع السابق، ص136.

الهدف، لا في البداية البسيطة ولا في الانتصارات الحاسمة التي توّجت بفتح مكة وحين يصرح المؤلف بشيء إيجابي عن محمد فإنه يفعل ذلك في حرارة واقتناع.([36])

أما فيما يتعلق بأهمية البحث عن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جليلة نقدرها قدرها لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المحمدية المنتشرة في مجلدات لاحصر لها وإذا كان" مفتاح كنوز السنة" الذي ألفه المستشرق الإنجليزي "ى.ونسنك" والذي قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقي، يُعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية في حوالى أربعة عشر مؤلفاً، فإن "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي يُعد في قمة الأعمال التي قام بها المستشرقون وعلى رأسهم "ى. ونسنك" فخدموا كل باحث أو طالب للحديث في الكتب التسعة الآتية:

1- صحيح البخاري.
2- صحيح مسلم.
3- سنن الترمذي.
4- سنن النسائي.
5- سنن أبى داود.
6- سنن ابن ماجه.
7- موطأ مالك.
8- مسند أحمد بن حنبل.
9- مسند الدارمي.

مما يدل على قيمة اتجاه الاستشراق في هذا الميدان ويؤكد من جديد شأن هذه النزعة فيه وجلال قدرها كذلك.([37])

المحور الثالث/ دور المستشرقين في نشر اللغة العربية:

تُعتبر الدراسات الاستشراقية مصدر كثير من الغربيين لفهم الثقافة الإسلامية، بل تتعدى إلى تأثيرها في السياسات تجاه أمم الشرق، وهذا ما يحتم على الباحثين المسلمين أن يهتموا بها دراسة وتصحيحاً.

ويمكن أن يتم إبراز جهود المستشرقين في خدمة اللغة العربية عبر نقاط هى:

1- التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
2- جمع المخطوطات منذ حملة نابليون سنة 1798م ومروراً ببعثات ملك بروسيا "فريدريش" سنة 1852م إلى البعثات الشخصية، ومن أهم الإنجازات المذهلة ما قام به بعض المستشرقين من وضع فهرس في عشرة مجلدات لمكتبة برلين للمخطوطات العربية وعددها عشرة آلاف مخطوط.
3- التحقيق والنشر، فقد نشر المستشرقون مئات المخطوطات العربية في بداية عصر الطباعة مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكامل للمبرد والجمهرة وغيرها.
4- الترجمة، فقد ترجموا العديد من الكتب العربية كتاريخ الطبري وكثير من الدواوين والإحياء للغزالي وترجموا معاني القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية الحية.

(36)محمود حمدي زقزوق: مرجع سبق ذكره، ص91 وما بعدها بتصرف.
(37)أحمد سمايلو فتش: مرجع سبق ذكره، ص206 /207.

5- التأليف، فقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب، ومن أعظم ما أضافه المستشرقون للثقافة العربية والإسلامية هذه المشاريع المشكورة:

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ت 1956م.
- دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد ظهرت في الفترة 1913-1938م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام 1945م وحتى عام 1977م.([38])

وفي العصر الحديث انكب الغرب على دراسة التراث العربي والإسلامي، فالمستشرقون قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها حينئذ ونشروها نشرًا علميًا خالصًا وترجموا الآلاف من هذا التراث إلي اللغات العالمية، فضلاً عن التوجيه إلى الأخذ بالمناهج الحديثة في البحث والدراسة وعرّفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا ومآثرنا وقدموا للفكر الإسلامي أشياء كثيرة نافعة لا يمكن تجاهلها.

وتأسست بعد الحرب العالمية الثانية عدة كراسي لتدريس اللغة العربية والأدب والحضارة والتاريخ والفلسفة الإسلامية منها: مجمع فيينا الكنسي الذي أقر إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في كل من باريس وبولونيا في عام 1312م، وتم إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام 1636م، وقام المستشرقون بتدريس كتب العرب في الجامعات الأوروبية كمؤلفات ابن سينا وابن رشد وصارت تدّرس في تلك الجامعات حتي نهاية القرن الخامس عشر.([39])

وقامت فرنسا بإنشاء مدارس لتدريس اللغة العربية مثل ريمس وشارتر وإنشاء كرسي للغة العربية في باريس وإنشاء كرسي للدراسات الاسلامية في جامعة السوربون والتي ألحق بها فيما بعد معهد الدراسات الإسلامية وكانت جامعة السوربون ولا زالت تلعب دوراً هاماً في مضمار الدراسات العربية والإسلامية.([40])

وكان علي رأس المهتمين بالدراسات العربية "سيمون أوكلي" الذي تولي مهمة تدريس اللغة العربية في جامعة كامبردج 1711م وألف كتابه الشهير (تاريخ المسلمين) الذي تناول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام.([41])

ويأتي من بعده "جورج سال"([42]) الذي ترجم القرآن الكريم، وأصبحت ترجمته المرجع الأساسي للترجمات الواردة بعدها لسنين عديدة، كما خلفت هذه الترجمة حركة واسعة للتعرف إلي الثقافة الإسلامية وبيان خصائصها الإيجابية.

ومن كبار المستشرقين "يوليوس فلهوزن" الذي برز في مجال الدراسات الإسلامية فحقق تاريخ الطبري، وكذلك نجد "تيودور نولدكه" الشهير و"كارل بروكلمان" صاحب تاريخ الأدب العربي الذي يُعد موسوعة لا غنى عنها لأي باحث في مجال الدراسات الإسلامية.

وفي روسيا، فاللغات الشرقية في مفهوم الروس، كانت لغات الشرق الإسلامي، وشغلت اللغة العربية المكانة الأولى وقد أُنشأ قسم اللغة العربية في جامعة خاركوف بعد صدور مرسوم بذلك عام 1804م مباشرة.([43])

---

(38) عبد العزيز بن سعد الدغيثر: المستشرقون وخدمة التراث العربي ،مقال من موقع المؤلف الإلكترونى .

(39) لمزيد من التفاصيل انظر: سيجريد هونكه: شمس الله تسطع علي الغرب، أنخل بالينثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، 1955 م، أنظر أيضاً حسين مؤنس: قُرْطُبَة، درة مدن أوروبا في العصور الوسطى، مجلة العربي، عدد 95، أكتوبر 1966.

(40) المرجع السابق، ص 107.

(41) ميشيل جحا: الدراسات العربية والأسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1982، ص 33.

(42) جورج سال 1697م - 1736م: ولد في لندن التحق في البداية بالتعليم اللاهوتي تعلم العربية على يد معلم من سوريا وكان يتقن اللغة العبرية أيضاً، من أبرز أعماله ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي قدم لها بمقدمة احتوت على كثير من الافتراءات والشبهات، ومن الغريب أن يقول عنها عبد الرحمن بدوي "ترجمة سال واضحة ومحكمة معاً، ولهذا راجت رواجاً عظيماً طوال القرن الثامن عشر إذ عنها ترجم القرآن إلى الألمانية عام 1746م .

(43) كراتشكوفسكي: تاريخ الاستعراب الروسي، منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي، موسكو، لينجراد، 1950م.

ومن أشهر المستشرقين الروس "كراتشكوفيسكي"([44]) الذي شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية وذهب إلي الشرق فزار مصر وسوريا وفلسطين، فاطلع علي خزائن كتبها وتعرف إلي علمائها وأدبائها ثم عاد إلي بلاده وعين أستاذًا للعربية([45])، وثمة رأي يقول إنه كان مكتشف الأدب العربي الجديد بالنسبة للغرب.([46])

ومن بعض جهود المستشرقين أيضاً ما قام به "توماس إربنيوس"([47])، نشر العمل لعبد القاهر الجرجاني بروما 1617م، و"سلفستر دي ساسي" (ت 1838م) نشر كليلة ودمنة، وألفية ابن مالك، ووصف مصر لعبد القادر البغدادي، و"فريتس كرنكوف" (ت 1953م)، الذي حقق الأصمعيات، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، وجمهرة اللغة لابن دريد.

وهناك أيضاً "ليفي بروفنسال الفرنسي"([48]) محقق الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم، وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي([49])، و"كترمير" الفرنسي تلميذ "دي ساسي" (ت 1857م)، نشر مقدمة ابن خلدون، ومنتخبات من أمثال الميداني، و"فرايتاج" الألماني (ت 1861م)، الذي نشر حماسة أبي تمام، وأمثال الميداني، و"رينهارت دوزي" الهولندي (ت 1883م)، الذي وضع معجما عربياً يُعد ذيلاً للمعاجم العربية([50])، إذ جمع فيه من الألفاظ العربية ما لم يرد فيها.

وقد أفاد الاستشراق الثقافة العربية فوائدَ عديدةً منها:

- نشر الثقافة العربية في أوروبا.
- ترجمة كثير من كتب التراث العربي إلى اللغات الأخرى.
- تصحيح فكرة الشعوب الأوروبية عن العرب والإسلام.
- نشر كثير من كتب التراث نشراً علمياً.
- كتابة العديد من المؤلفات النفيسة عن الحضارة العربية والإسلامية، ويمكن زيادة الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين في كثير من الميادين الثقافية في البلاد العربية.([51])

---

(44) إغناطيوس كراتشكوفسكي: مستشرق روسي ولد في 16 مارس 1883م، أمضى طفولته في "طشقند" حيث تعلم اللغة الأوزبكية، درس اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية، بدأ بتعلم اللغة العربية بنفسه،وفي عام 1901م التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بترسبرج، ودرس عدداً من اللغات منها العبرية والحبشية والتركية ، درس التاريخ الإسلامي على يد المستشرق "بارتولد"، زار العديد من الدول العربية والإسلامية منها تركيا وسوريا ولبنان ومصر وتعرف إلى كثير من أعلام الفكر العربي الإسلامي منهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد كرد علي وغيرهما اهتم بالشعر العربي في العصر الأموي وفي العصر العباسي.

(45) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج 3، دار المعارف، القاهرة 1964، ص 954.

(46) أنا دولينينا: من تاريخ الاستشراق في الاتحاد السوفييتي، مجلة الاستشراق، ج 2، بغداد 1987 م ،ص 57.

(47) توماس إربنيوس: مستشرق هولندي، يُعد مؤسس النهضة الاستشراقية ومنظمها في بلاده وأنشأ في بيته مطبعة عربية صارت أساس المطبعة العربية المعروفة اليوم في ليدن بمطبعة بريل وعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة ليدن سنة 1613م، للاستزادة أنظر: أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م .

(48) ليفي بروفسال (ت 1956م): مستشرق فرنسي الأصل، كثير الاهتمام بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها، ولد وتعلم في الجزائر، عُين سنة 1920 مُدرساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط ثُم مديراً له سنة 1926 – 35 وانتدب في خلال ذلك سنة 1928 لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم، بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون ودعي لإلقاء محاضرات في جامعة القاهرة سنة 1938 وألحقه وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس سنة 1945 وعين في السنة ذاتها أستاذاً للغة العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بباريس، ووكيلاً لمعهد الدراسات الساميّة في جامعتها، وكان من أعضاء المجمعين: العلمي العربي بدمشق، و اللغوي بالقاهرة. للاستزادة أنظر: أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م

(49) محمد عبد المنعم خفاجي: حركة الاستشراق، مجلة المنهل، العدد 471 أبريل – مايو 1989م، ص 199.

(50)معجم موسوعيّ، جعل فيه "دوزي" الكلمات العربية مع مرادفاتها الفرنسية وأسمائها العلمية، وهو من المراجع الرئيسية للمفردات والألفاظ التي لم ترد في المعاجم العربية.

(51) المرجع نفسه.

هذا الزخم إن دل على شئ فإنما يدل على عمق التواصل الحضاري بين شعوب الأرض قاطبة .

الخاتمة

بعد هذا السفر القصير والتعرف على الوجه المشرق للاستشراق والذي اتصف بالإنصاف والحيدة واكتست ملامحه بالنزاهة والعدالة فجاء أعظم رد على المتعصبين والمرجفين والحاقدين من المستشرقين وكأنه ينطبق عليه قول الله تعالى عن شاهد يوسف عليه السلام: (وشهد شاهد من أهلها).

خرجت بنتائج مهمة أذكر بعضها فيما يلى:

أولاً: اللقاء الثقافي بين الشرق والغرب حقيقة واقعية وهى من سنن الاجتماع الإنساني والعمران البشري.

ثانياً: التأثير والتأثر حتمية حضارية وهو ما تم فعلاً بين الشرق والغرب.

ثالثاً: وجدت نماذج مشرقة بل ومشرفة من المستشرقين الذين لم يمنعهم تغاير العرق واختلاف الدين من الجهر بالحق.

رابعاً: تعرفت على تراث هؤلاء المنصفين وعطائهم الإيجابي في دوائر كثيرة اكتفيت منها بموقفهم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واللغة العربية.

وقد خرجت من هذه الرحلة بالتوصيات الآتية :

1- الاهتمام بالجهود الإيجابية للمستشرقين التي تعاملوا بها مع التراث الاسلامي.

2- قيام المؤسسات الثقافية في المجتمعات الإسلامية بالتواصل مع نظيرتها في المجتمعات الغربية بهدف التواصل الثقافي والإثراء الحضاري المتبادل.

الابتعاد بالنقاش والحوار المتبادل عن خطوط التماس التي تبعث على بعث الإحن والعداوات التاريخية، فليس هناك ما يدعو إلى الغوص والتنقيب في العقائد لأتباع الديانات، فليحافظ كل فريق على معتقده دون تطاول أو عبث أو تشكيك في عقائد الآخرين.

3- ليبق البحث في الأديان قاصراً على قاعات الدراسة فحسب تحاشياً لتبادل الاتهامات التي قد تعيد إحياء حروب قديمة لا داعي لنبش التراب وبعث جيفتها من جديد.

والله من وراء القصد ...

قائمة المراجع

أولاً المصادر:

- القرآن الكريم.

ثانياَ المراجع:

- المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية بالقاهرة، ج1، 1960م.
- ابن منظور، لسان العرب م 10.
- أحمد رضا، معجم متن اللغة ج3.
- أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر 1998م.
- يحيى مراد: ردود على شبهات المستشرقين.
- مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2، ط5، 2003م.

- عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام عرض ونقد، الرياض/ المملكة العربية السعودية، 2001م، ط1.
- علي إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والخلفية الفكرية، الاستشراق والدراسات الإسلامية – مصادر الاستشراق والمستشرقين، الرياض، 1998م، ط1.
- أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ط3، القاهرة، 1975م.
- عبد الجليل شلبي: صور استشراقية، نشر مجمع البحوث الإسلامية 1978م.
- على محمد جريشة: أساليب الغزو الفكري، نشر دار الاعتصام بالقاهرة.
- على حسن الخربوطي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي.
- شوقي إبراهيم علي عبد الله: في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، 1988م.
- إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)، ترجمة كمال أوديب، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية 1981م.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، القاهرة: دار المعارف 1981م، ط4.
- يوسف جيرا: تاريخ دراسة اللغة العربية في أوروبا.
- علي عبد الحليم: من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه جامعة بن سعود 1396هـ.
- محمود حمدي زقزوق: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك.
- عبدالعزيز بن سعد الدغيثر: المستشرقون وخدمة التراث العربى ،مقال من موقعه التالى :
- http//;www.saaid.net/Doat/aldgithr/31.htm
- ميشيل جحا: الدراسات العربية والأسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1982م.
- أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.

ثالثاً الترجمات:

- رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفي ماهر، مكتبة الأنجلو المصرية 1967م.
- كارين آرمسترونج: محمد، مقدمة المترجمين، ترجمة د.فاطمة نصر، د.محمد عنانى، ط2.

رابعاً الدوريات:

- جمال الدين الألوسي: المستشرقون والتراث...المستشرقون والإسلام، منشورات مجلة الرسالة الإسلامية – وزارة الأوقاف – العراق – مطبعة الأوقاف – بغداد.
- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة ، كتاب الأمة ، العدد (5) 1983م.
- كراتشكوفسكي: تاريخ الاستعراب الروسي، منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي، موسكو، لينجراد، 1950م.
- أنا دولينينا: من تاريخ الاستشراق في الاتحاد السوفييتي، مجلة الاستشراق، ج 2، بغداد 1987 م.
- محمد عبد المنعم خفاجي: حركة الاستشراق، مجلة المنهل، العدد 471 أبريل – مايو 1989م.